

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
 اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى
 الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى
 الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا

٩٥

اقترن جهاد المال بجهاد النفس في عشرة مواضع، تقدّم فيها جهاد المال على الجهاد بالنفس في تسعة مواضع، وتقدّم جهاد النفس على جهاد المال في موضع واحد، ولذلك حكم وأسرار، وقف عليها المفسرون، رحمة الله.

قال ابن القيم رحمه الله في تفاوت الناس في مراتب فهم القرآن: "منهم من يفهم من الآية حكمًا أو حكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته وتتبّعه واعتباره، وأحسن من هذا وألطف، ضمه إلى نص آخر متعلق به؛ فيفهم من اقتراحه به قدرًا زائداً على ذلك اللفظ بمفرده. وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم؛ فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذه وتعلقه به" [1].

الآيات التي تقدّم فيها المال على النفس:

1- قال تعالى: {انفروا خفافاً وثقالاً وجاحدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة التوبة، الآية: 41].

2- قال تعالى: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة الصاف، الآية: 11].

3- قال تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا} [سورة النساء، الآية: 95].

4- قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجاحدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أَوْلَئِكَ بَعْضُهُمُ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَائِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيَانَقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سورة الأنفال، الآية: 72].

5- قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجاحدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}

[سورة التوبه، الآية: 20].

6- قال تعالى: {لَا يَسْتَأْنِدُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِ بِالْمُتَفَقِّنِ} [سورة التوبه، الآية: 44].

7- قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [سورة الحجرات، الآية: 15].

8- قال تعالى: {فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرَقْلَنْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ} [سورة التوبه، الآية: 81].

9- قال تعالى: {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [سورة التوبه، الآية: 88].

الآية التي تقدّمت فيها النفس على المال:

10- قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ أَحَقُّ فِي التَّقْرَأَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَنْفَقَ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَنْعِمَتِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة التوبه، الآية: 111].

من حِكم تقديم المال على النفس في أقوال العلماء:

قال الألوسي رحمه الله: "لعل تقديم الأموال على الأنفس لـما أن المجاهدة بالأموال أكثر وقوعاً، وأن دفعاً للحاجة؛ حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال، وقيل: ترتيب هذه المتعاطفات في الآية على حسب الواقع؛ فالجهاد بـ(المال) نحو التأهب للحرب، ثم الجهاد بالنفس" [2].

وقال ابن حيان رحمه الله: "تقديم الأموال على الأنفس؛ لأن المجاهد بائع، فأخر ذكرها تنبيهاً على أن المضايقة فيها أشد؛ فلا يرضى ببذلها إلا في آخر المراتب. والمشترى قدّمت له النفس تنبيهاً على أن الرغبة فيها أشد، وإنما يرغب أولًا في الأنفاس الغالي" [3].

وقال صاحب البرهان رحمه الله: "وجه التقديم أن الجهاد يستدعي تقديم إنفاق الأموال أولًا؛ فهو من باب السبق بالسببية" [4].

وقال ابن القيم رحمه الله في حكمة تقديم المال على النفس: "أولاً: هذا دليل على وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، فإذا دهم العدو وجب على القادر الخروج بنفسه، فإن كان عاجزاً وجب عليه أن يكتري بماله.

ومن تأمل أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته في أصحابه رضي الله عنهم وأمرهم بإخراج أموالهم في الجهاد، قطع بصحة هذا القول.

والمحضود: تقديم المال في الذكر، وأن ذلك مشعر بإنكار وهم من يتوهם أن العاجز بنفسه إذا كان قادرًا على أن يغزو بماله لا يجب عليه شيء؛ فحيث ذكر الجهاد قدّم ذكر المال؛ فكيف يقال: لا يجيء به؟

ولو قيل: إن وجوده بالمال أعظم وأقوى من وجوده بالنفس، لكن هذا القول أصح من قول من قال: لا يجب بالمال، وهذا بعين، وعلى هذا فتظهر الفائدة في تقديميه في الذكر.

وفائدة ثانية: على تقدير عدم الوجوب؛ وهي أن المال محبوب النفس ومعشوقها التي تبذل ذاتها في تحصيله وترتكب الأخطار وتتعرض للموت في طلبه، وهذا يدل على أنه هو محبوبها ومعشوقها، فندب الله تعالى محبيه المجاهدين في سبيله إلى بذل معشوقهم ومحبوبهم في مرضاته؛ فإن المقصود أن يكون الله هو أحب شيء إليهم، ولا يكون في الوجود شيء أحب إليهم منه، فإذا بذلوا محبوبهم في حبه نقلهم إلى مرتبة أخرى أكمل منها؛ وهي بذل نفوسهم له؛ فهذا غاية الحب؛ فإن الإنسان لا شيء أحب إليه من نفسه، فإذا أحب شيئاً بذل له محبوبه من نفسه وماليه، فإذا آل الأمر إلى بذل نفسه ضئلاً بذلها على محبوبه.

هذا هو الغالب وهو مقتضى الطبيعة الحيوانية والإنسانية؛ ولهذا يدافع الرجل عن ماله وأهله وولده فإذا أحس بالغموضية والوصول إلى مهجه ونفسه فرّ وتركهم، فلم يرض الله من محبيه بهذا، بل أمرهم أن يبذلوا له نفوسهم بعد أن بذلوا له محبوباتهم. وأيضاً فبذل النفس آخر المراتب؛ فإن العبد يبذل ماله أولاً يقي به نفسه، فإذا لم يبق له ماله يذل نفسه؛ فكان تقديم المال على النفس في jihad مطابقاً ل الواقع.

وأما قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ} [سورة التوبة، الآية: 111]، فكان تقديم الأنفس هو الأولي؛ لأنها هي المشتراة في الحقيقة، وهي مورد العقد، وهي السلعة التي استلمها ربها وطلب شراءها لنفسه، وجعل ثمن هذا العقد رضاه وجنته، وكانت هي المقصودة بعقد الشراء. والأموال تبع لها فإذا ملكها مشتريها ملك مالها؛ فإن العبد وما يملكه لسيده، ليس له فيه شيء؛ فالمالك الحق إذا ملك النفس ملك أموالها ومتعلقاتها [5].

وقال الشنقيطي رحمة الله: "حقيقة jihad بذل الجهد والطاقة، والمال هو عصب الحرب، وهو مدد الجيش، وهو أهم من jihad بالسلاح؛ فبالمال يشتري السلاح، وقد تستأجر الرجال؛ كما في الجيوش الحديثة من الفرق الأجنبية، وبالمال يجهز الجيش؛ ولذا لما جاء الإذن بالجهاد أذر الله المرضى والضعفاء، وأذر معهم الفقراء الذين لا يستطيعون تجهيز أنفسهم، وأذر معهم الرسول صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم يوجد عنده ما يجهزهم به؛ كما في قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الْضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى} [سورة التوبة، الآية: 91]، إلى قوله: {وَلَا عَلَى النِّسَاءِ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلُهُمْ فُلِتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوْلِي وَأَعِنْهُمْ تَنِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ} [سورة التوبة، الآية: 92].

وكذلك من جانب آخر: قد يجاهد بالمال من لا يستطيع بالسلاح كالنساء والضعفاء، كما ورد عن زيد بن خالد رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَرَّ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَرَّ» [6].

أما الآية الثانية: فهي في معرض الاستبدال والعرض والطلب أو ما يسمى بالمساومة؛ فقدم النفس؛ لأنها أعز ما يملك الحي، وجعل في مقابلها الجنة؛ وهي أعز ما يوهب، وأحسن ما قيل في ذلك.

أَتَامِنُ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ رَبَّهَا *** وَلَيْسَ لَهَا فِي الْخَلْقِ كُلُّهُمْ ثُمن
بِهَا تَمْلِكُ الْأَخْرَى؛ فَإِنَّ أَنَا بَعْتُهَا *** بِشَيْءٍ مِّنَ الدُّنْيَا؛ فَذَاكُ هُوَ الْغَبَنُ
لَئِنْ ذَهَبْتُ نَفْسِي بِدُنْيَا أَصْبَبَهَا *** لَقَدْ ذَهَبْتُ نَفْسِي وَقَدْ ذَهَبَ الثَّمَنُ

فالتجارة هنا معاملة مع الله إيماناً بالله وبرسوله، وجهاداً بالمال والنفس والعمل الصالح، كما قيل أيضاً [7]:

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ الْمَوْتِ مجْهَداً *** فَإِنَّمَا الْرِّبْحُ وَالخَسْرَانُ فِي الْعَمَلِ

وقال أبو بكر الجزائري: "يخبر تعالى مرغباً في jihad بالمال لتقديمه على النفس؛ لأن العدة أولاً والرجال ثانياً" [8].

جهاد المال ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: هو المشاركة بالمال في دعم المجاهدين وأسرهم.

القسم الثاني: هو مقاطعة المعتمدي الغاصب اقتصادياً ومالياً؛ وذلك من الجهاد بالمال أيضاً؛ فإذا كان الإنسان بخيلاً أو عاجزاً أو ضعيفاً؛ لا يستطيع المشاركة بماله في دعم تحرير هذه الأوطان المقدسة، فعلى الأقل يشارك بقطع دعم العدو المحتل، الغاصب [9].

وفي سؤال لفضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمة الله قال فيه السائل: نجد أن الله عز وجل في كثير من آيات jihad يقدم jihad بالمال على jihad بالنفس؛ فما الحكمة من ذلك؟

فأجاب فضيلته بقوله: يظهر والله أعلم لأن الجيش الإسلامي قد يحتاج إلى المال أكثر من حاجة إلى الرجال؛ ولأن jihad بالمال أيسر من jihad بالنفس [10].

وفي السنة تقديم jihad بالمال على jihad بالنفس:

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جاهدوا المؤشرِكينَ بِأموالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَأَسْتَكُمْ» [11].

الجهاد المتعين لدفع الضرر:

إذا كان المجاهد مديناً وتعين jihad لدفع الضرر، قدم jihad بالمال على سداد الدين. قال ابن تيمية رحمة الله: «فإن كان jihad المتعين لدفع الضرر؛ كما إذا حضره العدو، أو حضر الصفّ قدم على وفاء الدين كالنفقة وأولى» [12].

بعض النماذج التي توضح سبل jihad بالمال في ضوء الظروف التي تعايشها الأمة الإسلامية:

أولاً: إنفاق المال في تجهيز المجاهد بالسلاح:

فيجب على كل مسلم أن يدفع حقاً معلوماً من ماله لأولي الأمر من المسلمين؛ عقيدة وشريعة وقولاً وعملاً من المسؤولين عن jihad، ول يكن لنا في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العبرة؛ حيث كان الصحابة والمسلمون من السابقين يتنافسون في نيل شرف إعداد الجيوش للغزوات: {وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنافَسُ الْمُتَّابِقُونَ} [سورة المطففين، الآية: 26]؛ وما تنافس سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر في تجهيز إحدى الغزوات بأموالهم إلا نموذج يجب أن يقتدي به المسلمين.

ثانياً: إنفاق المال لكفالة أسر المجاهدين الذين استجابوا لنداء jihad تاركين خلفهم أولادهم ونسائهم:

إن هذه الأسر في حاجة ملحة إلى المال لكفالة متطلبات الحياة من المأكل والمشرب والمأوى.

إن اطمئنان المجاهد أن هناك مجاهدين بأموالهم لا يخلون بمالهم على أسرته، نوع من أنواع إعداد العدة للكفار الذين يحاربون الإسلام.

ثالثاً: إنفاق المال على أبناء الشهداء الذين سالت دمائهم من أجل الإسلام والذود عنه:

فعلى أصحاب المال حق لهؤلاء؛ فإن المجاهد بنفسه، أقل ما يتضرر منك تجاهه أن تجود بشيء من مالك من أجل زوجته وأولاده؛ حتى ينشؤوا أقوياء يتسلمون الراية من سبقوهم.

إن أبناء الشهداء ينتظرون من أجياء الأمة الإسلامية حقوقهم، ولا يعتبروا ذلك متهة أو هبة منهم؛ ولكن حق معلوم قرره الله لهم، في قوله تبارك وتعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [سورة المعارج، الآيات: 24-25].

رابعاً: إنفاق المال لتعمير آثار تدمير بيوت المسلمين: فمن خصال اليهود والكافر والطاغية على مر العصور التدمير

والخراب، وتشريد المسلمين، وما أرض فلسطين وأفغانستان مَنَا ببعيد؛ فماذا فعل اليهود في فلسطين؟ وماذا فعل الروس في أفغانستان؟ وماذا فعل الأمريكان في الصومال؟

اللهم يسِّر لنا سُبُّلُ الجهاد بالأموال والأنفس بكرمك وجودك يا كريم! يا جواد!

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين: 1 / 484.

[2] الآلوسي: 7 / 141.

[3] البحر المحيط: 4 / 242.

[4] البرهان: 3 / 256.

[5] بدائع الفوائد: ص 86.

[6] صحيح البخاري: بَابُ فَضْلٍ مَنْ جَهَّزَ غَازِيًّا أَوْ خَلَفَةً بِخَيْرٍ، (2631).

[7] أضواء البيان: 8 / 248.

[8] أيسير التفاسير: 134.

[9] الشيخ محمد حسن الددو الشنقيطي في لقاء مع الجزيرة في برنامج الشريعة والحياة، تاريخ الحلقة: 2002/4/21م.

[10] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين: 25 / 312.

[11] مسند أحمد: مسند أنس بن مالك: (11798).

[12] الفتاوى الكبرى: 5 / 537.

مجلة البيان

المصادر: